من الممكن إنشاء عالم أعدل
A Fairer World is Possible

تحرير: رجب طيب أردوغان — *Author: Recep Tayyip Erdoğan*

الناشر: توركواز للنشر - 2021 — *Publisher : Turkuaz Kitap - 2021*

مراجعة: أدهم أبو سلمية — *Reviewed by: Adham Abu Salmiya*

عدد الصفحات: 216 — *Pages: 216*

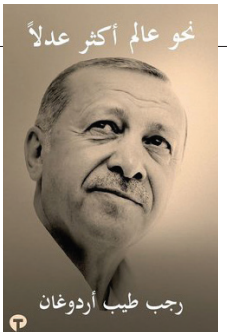

جرت العادة أن نُطالع كتب الرؤساء والزعماء عقب انتهاء فترة حكمهم، حيث تتصف غالبًا بالسرد التاريخي لأحداث عاشها الكاتب خلال فترة حكمه، ونظرته للأحداث والمواقف المُختلفة، وكيف تعامل معها، ويغلب على كُتب زعماء الدول الكبرى أن ينحوا منحى التسويغ لمواقفهم وقراراتهم، وبخاصة في القضايا ذات الطابع الدولي، لكننا اليوم نقف أمام كتاب مُختلف قليلًا؛ فالكاتب هنا هو الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وهو يُخرج هذا الكتاب بينما يواصل قيادته للدولة التركية، ولا يُقدّم فيه سردًا تاريخيًّا بقدر ما هو تحليل للواقع واستشراف للمستقبل، مع تقديم تصورات علمية وعملية لعالم أكثر عدلًا.

وُضِعت صورة الرئيس التركي على الواجهة الأمامية للكتاب، بينما وُضِعت رسالة الكتاب بإيجاز في الواجهة الخلفية من الغلاف، لكن تلك الكلمات القصيرة تحفز القارئ لمواصلة القراءة، فالرسالة هنا تبدو مُختلفة، فهي من وجهة نظر البعض تبدو منطقية، ومن وجهة نظر البعض الآخر تبدو حالمة، بينما يراها آخرون مُستحيلة، والحديث هنا عن إعادة هيكلة المؤسسات الدولية، وبخاصة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن؛ لأن "**العالم أكبر من خمسة**" كما يقول الرئيس أردوغان.

يكتسب كتاب "**من الممكن إنشاء عالم أعدل**" أهمية أخرى من جهة الزمان والمكان، فالكتاب خرج من تركيا، لكنه تجاوز الحيز الجغرافي الذي خرج منه ليُخاطب المجتمع الدولي، في رسالة تجمع بين "التفاؤل والتحذير"، وكأنه يقول: "ما يزال هناك مُتسع من الوقت لتحقيق العدالة في العالم، لكن الفرص تتضاءل والوقت ينحسر، وإذا لم يستدرك الجميع اليوم فإن القادم سيكون صعبًا". أما توقيت الكتاب فقد جاء في ظلال أزمة كورونا، وما عاشه العالم من واقع صعب، غاب فيه التعاون الدولي إلا في نطاق محدود، وانغلقت كل دولة على نفسها، وتسلطت الدول الكُبرى على اللقاح، بينما تُركت الدول الفقيرة والضعيفة لتواجه مصيرها في غياب كامل للعدالة، وهو ما منح الكتاب زخمًا إضافيًّا.

في عام ١٩٨٩م كتب "فرانسيس فوكوياما" في أعقاب سقوط الاتحاد السوفيتي مقاله الذي حوله

DOI:10.36360/1560-010-004-011

لاحقًا إلى كتاب بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الذي أعلن فيه نهاية الأيديولوجيات، وأن الإنسان الأخير سيعيش في كنف الديمقراطية والعدالة الليبرالية إلى الأبد؛ لأنّها التعبير النهائي والتأليفي لتراكمات الفكر الإنساني. لكن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان جاء بكتابه الجديد ليُقدّم جردًا للحساب، تكتشفُ معه أن العالم لم تتحقق فيه قيم الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية في ظل هيمنة القوى الخمس الكبرى، ولا في ظلال الليبرالية الأمريكية، فمنذ تولي حزب العدالة والتنمية زمام الحكم في تركيا والرئيس أردوغان يتابع عن قُرب كيف غابت العدالة، وكيف أخفقت المؤسسات الدولية في معالجة مشكلات البشرية؛ ابتداءً من الحرب على العراق، مرورًا بإخفاق مواجهة الأزمة الاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨، إلى عجز المجتمع الدولي عن وقف تغوّل "إسرائيلي" وسلوكها العدواني ضد الشعب الفلسطيني، وكيف تُركت شعوب الربيع العربي تواجه بطش الأنظمة الحاكمة وحيدةً من دون أن يتحرك لنُصرتها أحد، وكذلك هو الحال مع المُستضعفين من الروهينغا والأفارقة ومسلمي الصين، وصولًا لغياب التعاون الجاد والحقيقي في قضايا المناخ، ومواجهة فايروس كورونا. كل هذه الأحداث وغيرها دفعت الرئيس أردوغان إلى إعلاء الصوت، والدعوة إلى إصلاح المنظومة الدولية، انطلاقًا من الفهم العميق للمشكلة، فهو لا يدعو إلى هدم البناء، ولا يُطالب باستبدال المنظمات الحالية، ولا يدفع باتجاه عالم ثُنائي الأقطاب، بل يدعو إلى إصلاح مؤسسات الأمم المتحدة نفسها، وتحديدًا مجلس الأمن، وقد رفع في كتابه عناوين واضحة في هذا الاتجاه، فهو يرى أن العالم تغيّر، وأن النظام الحالي هو نتاج مُخرجات الحرب العالمية الثانية، وأنه من غير المنطقي أن يُحكم العالم بالقوى الخمسة الكبرى، فموازين القوى تتغير، ومشكلات العالم تتسع.

وهنا يُقدم الرئيس التركي حلولًا عملية طالما روّج لها في خطاباته داخليًّا وخارجيًّا، ومع هذه الحلول التي استفاض في شرحها في كتابه يُنذر من أن غياب المُعالجة والإصلاح اليوم يعني نتائج كارثية في المستقبل، وهو لا يُبرئ أحدًا من تحمّل المسؤولية حين قال: "لا أحد بريء في عالم يموت، ويُقتَل فيه الأطفال"، وأن الاختلال الذي ضرب منظومة الأمم المتحدة التي تقود العالم أدّى في النهاية إلي عشرات الملايين من الجوعى والنازحين، وأنه، باستثناء صراع القوة بين الدول الـخمس الكبرى التي تسيطر على المنظومة، فإنَّ المشكلات الإنسانية في العالم، وبالأخص في العالم الإسلامي، مثل سوريا وفلسطين واليمن وأفغانستان، لا تُحَلّ؛ لأنّ المنظومة لا تقوم بدورها المفترض في العمل على حلّ تلك المشكلات.

وباستمرار تلك الصيغة، فإنّ مشكلات الدول الأقل أهمية بالنسبة إلى الدول الكبرى لا تُترَك بلا حلّ فحسب، وإنما تدفع هذه الدول الفقيرة ثمن جشع الدول الكبرى، وبالأخصّ في قضايا التغيّر المناخي الذي تسبّبت فيه الدول الصناعية، وتتضرر منه الدول البسيطة، وصولًا إلى جائحة كورونا، التي لا تزال تنضح باختلال المنظومة، بالنظر إلى وجود عدد كبير من الدول لم تحصل على اللقاحات إلى الآن.

ويستمر الرئيس أردوغان في طرح رؤيته الإصلاحية للأمم المتحدة بالقول: "إن الأمم المتحدة

التي تعكس التعددية الثقافية والتعددية القطبية ضرورية لضمان سلام عالمي أكثر عدلًا واستدامة. فالعالم ليس أحادي القطب، ولا ثنائي القطب، ولا تحت الهيمنة الثقافية لثقافة مهيمنة، أو عدد قليل من الجهات الفاعلة المتميزة. من الممكن بناء عالم متعدد الأقطاب، ومتعددة المراكز والثقافات، وأكثر شمولًا وإنصافًا. إن أول خطاب لمثل هذا العالم هو الأمم المتحدة. إن الطريق إلى السلام والاستقرار والعدالة والحكم العالمي الفعال يكون من خلال إصلاح الأمم المتحدة. وبطبيعة الحال، فإن إصلاح الأمم المتحدة، ولاسيّما إعادة إنشاء مجلس الأمن، سينفَّذ بتوافق آراء جميع بلدان العالم". وبهذا الخطاب نلحظ أن أردوغان يُريد إصلاحًا قائمًا على التعاون بين دول العالم على أساس المساواة لا الهيمنة، كما أنه لا يتصادم في طرحه مع القوى الكبرى، فهو لا يدعو إلى الهدم، بل إلى ترميم البناء، وهو بذلك ينسجم مع الكثير من الدول التي ترى ضرورة إصلاح منظومة الأمم المتحدة؛ لمواجهة التحديات الراهنة والمستجدة.

وحول مفهوم العدالة فقد ارتبط اسم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في السنوات العشر الأخيرة بمعظم قضايا المنطقة، وانتصاره الدائم للعدالة، وحمل هموم الشعوب المستضعفة في معظم خطاباته الداخلية والخارجية، فتركيا اليوم تُعَدّ من أكثر دول العالم استقبالًا للاجئين، إذ استقبلت منذ انطلاق الثورة السورية حتى اليوم ملايينَ اللاجئين السوريين، كذلك انحازت لقضايا شعوب دول الربيع العربي ووقفت مواقف مشهودة من القضية الفلسطينية، ورفعت الصوت تجاه ما تتعرض له الأقليات المسلمة في مناطق مُختلفة في العالم، كما أنها رغم محدودية مواردها كانت من الدول الأكثر دعمًا للدول الفقيرة خلال جائحة كورونا، وأدّت أدوارًا مهمّة في مساعدة العديد من الدول الإفريقية، وهذا الأمر هو الذي انعكس على شكل خلاف مستمر مع فرنسا التي تتعامل مع دول إفريقيا بعقلية استعمارية حتى اليوم. لأجل ذلك كله لم يكن غريبًا أن يتحدث الرئيس أردوغان في كتابه عن العدالة، بل وأن يجعلها محور الكتاب الرئيس حين قال: "وفقًا لمفهومنا، فإن العدالة ستكفل الخلاص والسعادة للعالم، ونحن بحاجة إلى نظام عالمي يمنح الثقة والأمل، من أجل إنشاء عالم أكثر عدلًا".

ويرى أردوغان أن "العدالة هي واحدة من أكثر القضايا المطلوبة في جميع أنحاء العالم اليوم، وأن المؤسسات المسؤولة عن إقامة العدل العالمي هي للأسف في حالة جمود كبير" وهذا الجمود هو ما يسوّغ تحمل تركيا ورئيسها مسؤوليةً أخلاقية في نقل صوت المظلومين إلى العالم، وقد عبر عن ذلك صراحةً بقوله: "في عصر فَقدان الرحمة، تقع على عاتقنا مسؤولية أن نكون ممثّلين للعدالة وصوت الضمير".

ويرى أردوغان في كتابه أن بلاده لم تكتفِ بإعلاء الصوت لتحقيق العدالة في العالم، بل انخرطت في جهود ومساعي تحقيقها، وقدّم على ذلك أمثلة عملية، ففي وقت أغلقت فيه الكثير من الدول أبوابها أمام اللاجئين السوريين كانت تركيا المُستضيف الأكبر لهم، وقدمت لهم المساعدات والتسهيلات المطلوبة، والأمر لم يقتصر على السوريين، فتركيا تستضيف الكثير من اللاجئين من الدول التي عجزت الأمم المتحدة عن حلّ صراعاتها. كما أن تركيا قدّمت النموذج خلال جائحة كورونا، حيث كانت من أكثر دول العالم تقديمًا للمساعدات

للدول الفقيرة والمحتاجة، في الوقت الذي كانت الدول المتقدمة تسطو على اللقاحات من بعضها، بالإضافة إلى أن تركيا ستتيح اللقاح المحلي لكل دول العالم بلا تمييز بمجرد جاهزيته.

في صفحات كتابه "من الممكن إنشاء عالم أعدل" التي بلغت ٢١٦ صفحة- قدّم الرئيس التركي نظرته للنظام العالمي الجديد في رؤية تفاؤلية لا تخلو من التحذير والقلق في آن واحد؛ قدم رؤية استشرافية لعالم قائم على التعاون والعدالة بعد أن أثبتت الصراعات وسباقات التسلح والثورة الصناعية غير المنضبطة إخفاقها في مواجهة التحديات، وربما كانت أزمة كورونا خير شاهد على النتائج المُنتظرة لأي تأخير في إصلاح النظام الدولي وغياب التعاون بين دول العالم، وهو ما يجعل رؤية الرئيس أردوغان أكثر واقعية ومنطقية اليوم، ليبقى السؤال مطروحًا: هل من الممكن إنشاء عالم أكثر عدالة؟